جهود اللغويين القدامى والمحدثين في تيسير النحوالعربي

دراسة تحليلية

الباحث / وجدي محمد أحمد جمال الدين **ا.د. محمد أحمد العمروسي** **د. إيهاب سعد شفطر**

كلية الآداب - جامعة كفر الشيخ - مصر

البريد الالكتروني: Wajdi_mohammed25@yahoo.com

ملخص

لقد كثرت الشكوى من القواعد النحوية وصعوبتها ،وأصبح هذا شعورا عاما لدى أبناء العربية ،الذين باتوا عاجزين عن استخدام لغتهم الفصحى في شتى مناحي الحياة ،مع أن النحوالعربي هو ميزان العربية،وحصنها المنيع الذي رد عنها صولات الدهر. وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز الجهود المضنية التي قام بها اللغويون القدامى والمحدثون في تيسيرالنحو العربي،و محاولة الوقوف على أهم المحاور التي يمكن أن تسهم في تيسير قواعد النحو العربي من خلال الموازنة بين جهود الفريقين، وبينت أن هذه المحاولات لم تخرج عن الأصول العامة للنحو،باستثناء دعوة ابن مضاء في كتابه (الرد على النحاة)، غير أنها لم تحظ بالقبول والإنتشار،وكادت أن تذهب في طي النسيان لولا د/شوقي ضيف،وقد حرص الباحث على تقديم نظرة نقدية لبعض المحاورالتي استند إليها ميسرو النحو العربي،وعمل على نبذ الدعوات الهدامة، وأكد أن النحو العربي لا يمكن الاستغناء عنه واعتمد الباحث على معطيات المنهج التحليلي ،مناقشا ومحللا، ومستنتجا.وقد توصلت الدراسة لعدة نتائج منها : - تيسير النحو العربي لا يجب أن يتم بمعزل عن المجتمع . - يجب الارتقاء بالمعلم والاهتمام بميول المتعلم وزيادة دافعيته نحو تعلم لغته. - يجب أن ينطلق التيسير من أساس مشترك يحظى بالقبول والتقديس(القرآن الكريم). - ضرورة العودة إلى المصادر الأولية(البِكْر)،ومحاولة استنطاقها بما يتناسب مع طرق التدريس وطبيعة العصر. ويجب أن ندرك أن العلوم لا تخلو من صعوبة، كما يجب أن ندرك أن اللغة لاتسلم قيادها لغبي، وهي بذلك تحتاج إلى جهد موصول،وإلى يقظة ووعي كبيرين،وقواعد النحو ليست عصية على الفهم، كما أنها ليست بدعا بين العلوم ،ويمكننا تيسيرها إذا خلصت النوايا وتوحدت الجهود .

الكلمات المفتاحية: تيسير النحو العربي- نظرية العامل- الفصحى والعامية- النحو القرآني.

Abstract

complains have been became a lot from "syntax" and its difficulty. hence this feeling has become general as for Arabs who became disabled of using a formal language in all sides of life. although "syntax" is considered the scales of Arabic and its strong fort against changes of time. This study aims at clarifying the exhausted efforts which the ancient linguists have done to facilitate "syntax". And attempting to know the basic axles which may take part in facilitating the Arabic syntax through balancing between two team's efforts. these attempts showed that it didn't far away of the public concepts of syntax excepting "Ebn Modaa", s invitation in his book "answering the grammarians", but it didn't find any acceptance or spreading it was also about to be forgotten without Dr. Shawky Daif who was eager to introduce a critical sight towards some axles which grammarians depended on. he also refused the destructive invitations and assured the Arabic syntax should not be neglected. the researcher depends on the date of the analytical method, discussing, analyzing and deducing also The study has reached to some results: - Facility must not be away from society. We should enrich the teacher and also be interested in the learner desires and increasing his motivations towards learning his language. The necessity of returning to the first resources and trying to refresh it with appropriate teaching method and the ages nature. We also must realize that sciences could not free of difficulty and also to know that language did not handle itself to a stupid learner, so it needs

رقم البحث: W24680

exhausted efforts and a big awareness as syntaxes are not hard to be understood as it is not a strange thing among sciences, but we also facilitate it if only our intentions are purified and efforts are union also.

مقدمة:

الحمد لله الذي يقول الحق وهو يهدي السبيل ، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين ،وعلى آله وأصحابه الغر الميامين والتابعين ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين،ثم أما بعد..

فقد اهتم العرب بتنقيح لغتهم وتجوديها ،وعملوا على ضبطها،وصيانتها من اللحن والتحريف ،وخاصة بعد نزول القرآن الكريم ،الذي كان فاتحة للدراسات اللغوية التي أخذت تتطور شيئا فشيئا ، فكان علم النحو من أول العلوم التي اهتموا بها ،لأنه الضمانة أو المعيار الذي يمكن الاعتماد عليه في حفظ اللغة بعد انقطاع المشافهة نتيجة لاتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية واختلاطهم بالعجم. وما أن أخذ النحو بالتشعب ،حتى ظهرت فجوة بين المستوى العلمي المتعمق وبين المبتدئين والشداة مما شكل صعوبة تحتاج إلى تيسير،مما دفع النحاة إلى التحرك لمجابهة ما استجد على الساحة العلمية رغبة منهم في تيسير النحو وتقريبه من أذهان المتعلمين ،ثم سار الزمن بالدراسة النحوية حتى وصلنا إلى العصر الحديث ،ذلك العصر الذي تعالت فيه الأصوات بالشكوى من النحو العربي وصعوبته،وكثرت فيه الدعوات التي تنادي بالتيسير،وهو ما استغله بعض المغرضين لتحقيق أهدافهم وزرع دسائسهم، للتخلص من العربية والحط من شأنها ،حتى اختلط الأمر على أبناء الأمة ،فانخدع بعضهم بتلك الدعوات الزائفة البراقة معتقدين أنها تمثل الحل السحري لكثير من المشكلات اللغوية المعاصرة ، ورغم تصدي بعض أبناء الأمة المخلصين لهذه الدعوات الهدامة ، مازالت الشكوى من النحو العربي وقواعده قائمة حتى يومنا ،لذا عقدت النية على الخوض في غمار التيسير، أملا في الوصول إلى طرح جديد يسهم في تيسير النحو وتقريبه من أذهان الدارسين، خدمة للغة العربية لغة القرآن الكريم.

النحو العربي هو أول علوم العربية التي أنتجها العلماء ،وقد لجأ العلماء لوضع قواعده رغبة في حفظ العربية – لغة القرآن - من اللحن والتحريف ولاسيما بعد اختلاط العرب بغيرهم بعد إتساع رقعة الدولة الإسلامية، وقد صاحبت قضية التيسير النحوي نشأة النحو ،ونالت اهتماما كبيرا من علماء العربية القدامي والمحدثين وهي محاولات حسنة النية- في مجملها- تهدف الى الوصول بتراثنا اللغوي ودرسنا النحوي إلى وعي أفضل ،ومع هذا فلا زالت الشكوى من صعوبة القواعد النحوية قائمة تعاني منها معظم الدول العربية وتعالت الأصوات التي تنادي بضرورة مواكبة العصر واللحاق بركب التطور ولكنها لم تغير من الواقع شيء ؛ لذا عقدت النية مستعينا بالله على مناقشة هذه القضية،ألا وهي قضية التيسير النحوي،بغية التوصل إلى طرح يمكن أن يسهم في تيسير النحو العربي دون المساس بجوهر- لأنه تراث أمة لاينبغي العبث به - فجاءت دراستي تحت عنوان: **(جهود اللغويين القدامى والمحدثين في تيسير النحوالعربي)**

مشكلة الدراسة : الانصراف عن تعلم اللغة العربية بدعوى صعوبة قواعدها ، وهو ما يشكل خطرا ينذر بضياع معالم الهوية .

وتهدف الدراسة إلى :

- إبراز الجهود اللغوية المضنية التي قدمها علماء العربية القدامى من اجل الحفاظ على لغتهم – لغة القرآن الكريم- من التحريف.
- إبراز جهود علماء اللغة المحدثين في تيسير قواعد النحو من خلال إلقاء الضوء على بعض مؤلفاتهم التي نالت شهرة واسعة .
- محاولة الوقوف على الأسباب الحقيقية التي أدت إلى هجر اللغة العربية واستصعاب قواعدها ،و اقتراح بعض الحلول ،وإيضاح بعض السبل التي تسهم في تيسير القواعد النحوية للارتقاء باللغة العربية .

الدراسات السابقة:

قضية التيسير النحوي من القضايا التي نالت قسطا وافرا من الاهتمام والدراسة ومن الدراسات التي خاضت في غمار التيسير :

- رسالة دكتوراه بعنوان(القضايا الخاصة بتيسير النحو وتجديده في مصر في القرن العشرين) للباحث مصطفى التوني، كلية الآداب ، جامعة عين شمس،مصر،1983م ،وفيها انتقد الباحث الاعتماد على الإعراب وسعى لإدخال نظريات علم اللغة الحديث، كما دافع فيها عن آراء الأستاذ إبراهيم مصطفى،ثم أصل الآراء التجديدة من خلال اختبارها على شعر المفضليات ،كما مال إلى موافقة د/ تمام حسان من حيث المبدأ في طرحة لنظرية القرائن،إلا أنها دراسة محصورة زمنيا ومكانيا.

- رسالة ماجستير منشورة بعنوان(جهود نحاة الاندلس في تيسير النحوالعربي) لفادي صقر أحمد عصيدة، كلية الدراسات العليا ،جامعة النجاح،فلسطين ،2006م. وقد أوضح الباحث دور علماء الأندلس في تطوير النحو ،حيث تدرجوا في تدريسه ونشره ؛فبدؤوا بدراسة النصوص العامة ومن ثم دراسة الكتب النحوية المشرقية إلى شرح هذه الكتب حتى استقامت لغتهم،فأصبحوا يصنفون ويضعون المؤلفات التي ذاع صيتها واشتهرت داخل الأندلس وخارجها،وقد اعتمدوا في البداية على النحو الكوفي وابتعدوا عن البصري لأنه لايتفق معهم ومع مقدرتهم ثم ما لبثوا أن تحولوا إلى البصري بعد أن قويت لغتهم وملكتهم وبخاصة كتاب سيبويه الذي لاقى عندهم رواجا عظيما.

- رسالة ماجستير بعنوان(اتجاهات تجديد النحو عند المحدثين دراسة وتقويم)لأحمد بن جار الله الزهراني،جامعة أم القرى،كلية اللغة العربية،السعودية،1423هـ، وفيها يؤكد أن اختصار الوظائف النحوية يؤدي إلى اختصارالاستعمال اللغوي،وهذا يؤدي إلى تحديد اللامتناهي في أقل قدر من المتناهي مما ينوء بالاستعمال المؤدي إلى ما في ذهن المستعمل من أفكار، لذا يرى أن النحو العربي استطاع أن يوفق بين الوظيفة والمعنى ،وهوما لا تستطيعه الأدوار الدلالية والوظيفية لأنها تعتمد على تراكيب خاصة تفسر في حدود العرف الاجتماعي للاستخدام ، لذا فإن الوظائف التداولية غير صالحة للتطبيق على اللغة العربية ،كما أن المنهج الوصفي قطع الصلة بين اللغة الموصوفة والقواعد التقليدية .

<u>الموازنة بين جهود القدامى والمحدثين</u>

إن فكرة الموازنة بين جهود العلماء القدامى والمحدثين في تيسير النحو العربي وتقريبه قد تكون فكرة منطقية من الناحية العقلية،إلا أنها قد تكون غير عادلة من الناحية العملية ويصعب بل يستحيل إجراء موازنة عادلة بين جهود الفريقين لأسباب متعددة منها :

1 – اتساع الفارق الزمني بين الفريقين إذ بدأت جهود القدماء في تيسير النحو مع بداية القرن الثاني الهجري مصاحبة لنشأة النحو ذاته ،في حين بدأت جهود المحدثين في القرن التاسع عشر.

2- اختلاف الحاجات اللغوية من عصر إلى آخر ،فحاجة القدماء إلى التيسير تختلف عن حاجة المحدثين وذلك لقرب القدماء من عصور السلامة اللغوية . 3- بدأ القدماء من عند أنفسهم ،في حين اعتمد المحدثون على النتاج الذي تركه القدماء بالإضافة إلى توافر الوسائط والأدوات المتعددة لدى المحدثين والتي يصعب مقارنتها بما توافر للقدماء .

لذا فإن فكرة الموازنة قد تكون غير عادلة وبخاصة للمحدثين - بعكس ما يعتقد الكثيرون- الذين لم يحسنوا استغلال الإمكانات التي توافرت لهم ولم تتوافر لغيرهم ،لأن الابتكار أصعب من التعديل أو التطوير؛ لذا فسنكتفي بالوقوف على أهم محاور التيسير لدى كل فريق على حده رغبة في التعرف على السمات المشتركة بينهما والتعرف على أهم المحاور المتبعة في تيسير النحو العربي ؛ وذلك لأن الباحث يؤمن بأن أي محاولة لتيسير النحو العربي يجب أن تستند إلى ما قاله القدماء ،فلاحاضر،ولا مستقبل لأمة لا تعرف ماضيها ، ولن نتمكن من فهم واقعنا اللغوي بمعزل عن الظروف التي نشأت فيها اللغة وهو ما أكده العديد من الباحثين" فإن فهم واقع اللغة العربية اليوم يقتضي النظر في تاريخها القريب والبعيد، كما أن رسم صورة لها في المستقبل ينبني على معرفة هذا الواقع، والظروف التي أدت إليه"([1]) لذا ينبغي أن يعمل كل من يتصدى لتيسير النحو العربي على المزج بين القديم والحديث حتى يتثنى له ما يريد ،في إطار متوازن يحظى بالقبول.

أبرز محاور تيسير النحو عند القدماء :

إن محاولات تيسير النحو العربي قد صاحبت نشأة النحو نفسه ،وذلك رغبة من علمائنا القدامى في حفظ اللغة العربية (لغة القرآن) من اللحن ، وتدين لهم العربية بالفضل إذ أفنوا أعمارهم في تعلمها وتعليمها والتأليف فيها لتبقى آثارهم شاهدة على جهودهم في حفظ اللغة العربية على المستويين القصير(من خلال تعليم طلابهم والرد على أسئلة أهل زمانهم)، والطويل (من خلال تدوين نتاجهم) لأن الكتب أطول عمرا من أصحابها ، وفي هذا دليل واضح على المنهجية العلمية التي احتذاها هؤلاء الأعلام في الحفاظ على لغتهم ، وإذا كنا اليوم لا نستطيع الوقوف على أهم المحاور التي اعتمد عليها النحاة القدامى على المستوى القصير ،فإنه يمكننا بلا أدنى شك أن نقف على أهم المحاور التي اعتمدوا عليها في تيسير النحو من خلال كتبهم التي تعكس لنا – بشكل كبير- واقعهم اللغوي .

ويرى الباحث أن الوقوف على أهم المحاور التيسيرية عند القدماء يقتضي التمييزبين نمطين :

الأول: أحاط النحو بالقداسة ، فلم يمس جوهر النحو إذ إنه شريك في وضعه بصورة أوبأخرى، بالرغم من ميل أصحابه إلى وضع المختصرات النحوية ، أوالشروح التي تهدف إلى التخفيف عن كاهل المتعلمين وتحبيب الشداة في

تعلم العربية وقواعدها ، ونتبين هذا من كثرة المختصرات التي عرضنا جانبا منها في الفصل الأول من هذا البحث مثل (كتاب مقدمة في النحو لخلف الأحمر،وكتاب الجمل المنسوب للخليل بن أحمد، وكتاب التفاحة في النحو ....) وقد اتسمت هذه الكتب في أغلبها بعدة سمات منها : الميل إلى الاختصار والبعد عن الحشو والتطويل ، وذلك من

[1] - غانم قدوري الحمد، أبحاث في العربية الفصحى، دار عمان للنشر والتوزيع، الأردن،2005م ، ص173 .

خلال البعد عن تعدد الآراء في المسألة الواحدة والبعد عن التكرار منعا للإطالة مع تجنب الخوض في بعض الأبواب، أو المواضع التي دار حولها خلاف كبير مثل باب الاشتغال وباب التنازع..

كما اتجه أنصار هذا النمط إلى الشروح والتعليقات ،أملا في تيسير القواعد،إلا أنها - في أغلبها- قد لعبت دورا كبيرا في تعقيد القواعد النحوية والانحناء بها إلى منحنى آخر لم يقصده أصحاب المؤلفات الأصلية.

ولم تقتصرجهود القدماء على مجرد التنويع مابين المختصرات والشروحات ، بل تعدت ذلك إلى استخدام الشعر في تعليم القواعد ،وقد لعبت المنظومات النحوية دورا بارزا في تعليم النحو العربي لفترة طويلة ، وقد صاحبت هذه المنظومات النحوية نشأة النحو العربي([1]) – كما سبق أن بينا- وتعد المنظومة النحوية المنسوبة إلى الخليل شاهدا على ذلك ،إلا أن المنظومات النحوية لم تلق رواجا وانتشارا إلا في القرن السادس الهجري ، والحقيقة إن هذه المنظومات قد أحدثت رواجا في إثراء المكتبة العربية إذ قام حولها عدد ضخم من المؤلفات التي لايزال بعضها يدرس إلى الآن،كما هو الحال مع منظومة ابن مالك ،إذ تجاوزعدد شراحها ما يربو على الخمسين ([2]) .

وقد كانت فكرة نظم العلوم بوجه عام والنحو بصفة خاصة فكرة بديعة – في حينها- لتسهيل استحضار القواعد النحوية،وإن تعرضت للنقد بسبب قصور طاقة النظم عن استيعاب أو تمثيل القواعد النحوية كما هي في ذهن أصحابها([3])،وهو مايصب في مصلحة الكتب المنثورة،إلا أننا نمتلك فرصة ذهبية للاستفادة من كليهما بما يتناسب مع حاجتنا اللغوية المعاصرة.

أما **الثاني** : فقدهاجم النحو وأهله ،ولم تتضح معالمه إلا مع ظهور دعوة ابن مضاء القرطبي ، وقد اعتمد ابن مضاء على عدة محاور كانت أساسا لثورته على النحو المشرقي وأهله،وهي([4]):

- الدعوة إلى إلغاء العامل.

- الدعوة إلى إلغاء القياس.

- الدعوة إلى إلغاء العلل ، ولا سيما العلل الثواني والثوالث.

- الدعوة إلى إلغاء التمارين غير العملية.

أبرز محاور التيسير عند المحدثين :

إن الباحث في قضية التيسير النحوي يمكن أن يلاحظ بسهولة أن المحدثين اعتمدوا على عدة محاور في تيسير النحو العربي ، وهذه المحاور تندرج في مجملها تحت نمطين هما :

1- **النمط الأول:**

[1] - ينظر : عبدالله بن صالح الفوزان، دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، دار المسلم للنشر والتوزيع، بريدة،1416هـ، 9/1.
[2] - ينظر : ممدوح عبد الرحمن،المنظومة النحوية دراسة تحليلية ، دار المعرفة الجامعية،2000م،ص21 .
[3] - ينظر: المرجع السابق،ص30.
[4] - ينظر: ابن مضاء القرطبي، كتاب الرد على النحاة، ، تحقيق د/ شوقي ضيف،دار المعارف، القاهرة،ط3، 1982م ،ص24-40 .

نمط مال إلى المحافظة على قواعد النحو العربي ،ورأى أن المشكلة ليست في النحو ذاته وإنما تكمن المشكلة فينا ، وفي طريقة توصيل هذه القواعد وتقديمها للطلاب ،لذا فكل المحاور التي دعوا إليها لم تمس جوهر النحو العربي ، فعملوا على التدرج من الأسهل والأكثر استخداما إلى المستويات العليا ، أو الأقل استخداما بحسب الحاجات اللغوية ، وقد مثلت الجهود الأولية التي قام بها المحدثون هذا النمط خير تمثيل بالإضافة إلى بعض المحاولات المتفرقة التي تلت هذه المحاولات ،ويرون أن هناك عدة عوامل تضافرت في تعميق الإحساس بهذه الصعوبة.

- الشعور بجفاف القواعد النحوية نتيجة استخدام شواهد صعبة وغير مستعملة ،وهو الأمر الذي جعل المعلمين ينشغلون بشرح الشواهد عن تقديم القواعد وتعليمها للطلاب ، مع قصور طرق تدريس النحو والاقتصار على الطرق التقليدية التي تتعامل مع الطلاب على أنهم آلات للحفظ والصم، مع خلو معظم الكتب النحوية- لاسيما القديمة منها- من التمارين والتطبيقات التي تساعد الطلاب على إعمال العقل وتعميق الفهم ؛ لذا فقد انصبت محاور التيسير لديهم على محاولة إيجاد حلول لتلك العوامل التي أدت إلى صعوبة النحو فعملوا على:

1. العناية بالشواهد والأمثلة والحرص على استخدام أمثلة سهلة من الواقع أو شواهد من الأدب العربي الفصيح (قرآن – شعر – نثر ...)تتميز بالسهولة والوضوح ،ومن أبرز المحاولات التي عنيت بهذا كتاب النحو الواضح وكتاب النحو الوافي

2. العمل على الاستفادة من طرائق التدريس والعمل على تقديم القواعد النحوية بشكل متدرج ،كما فعل حفني ناصف ومحمد دياب ومصطفى طمطوم ومحمد صالح في كتابهم (الدروس النحوية لتلاميذ المدارس الابتدائية) الذي تطور بعد ذلك ليصبح عنوانه (كتاب القواعد العربية لتلاميذ المدارس الثانوية) بعد أن دمج كتاب (الدروس النحوية وكتاب دروس البلاغة لتلاميذ المدارس الثانوية)بعد أن أدخلت عليهما بعض التعديلات،وتقديم بعض الإرشادات والنصائح التربوية التي تساعد على إتقان القواعد النحوية كما فعل : مصطفى أمين وعلي الجارم حين صدرا كتابهما ببعض الإرشادات في تدريس القواعد العربية والتمرين الشفهي والتمرين الكتابي([1]) ، كما حرصوا على اتباع الطريقة الاستنباطية التي تعد من أكثر الطرق فاعلية في تعليم الناشئة ، ولم يقتصر هذا على الكتب صغيرة الحجم ،فنجد أن كتاب مثل كتاب النحو الوافي للدكتور عباس حسن - الذي خصصة لطلاب الجامعة وما بعدها- قد استعان بطرائق التدريس والتنويع بينها، ولم يعتمد على طريقة واحدة([2]).

3. الاهتمام بالتطبيق والتدريب من خلال العناية بالشواهد والأمثلة والتدريبات وهو ما حرص عليه عدد كبير من المحدثين ،فنجد أن كتاب(النحو الوظيفي) لعبد العليم إبراهيم ، به عدد من الأمثلة المشروحة وأسئلة التدريبات وإجابتها في جداول ([3])بالإضافة إلى أنه اختتم كتابه بعرض بعض النصوص غير المضبوطة تحت عنوان (قراءات تطبيقية) حتى يتدرب الطالب على القراءة المضبوطة الصحيحة وفقا لقواعد النحو ، وقد اهتم الراجحى في كتابه (التطبيق النحوي) بعرض الأمثلة مصحوبة بإعرابها التفصيلي([4])حتى تكون عونا

[1] - ينظر: علي الجارم ومصطفى أمين،النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، دار المعارف، القاهرة،1/7-9.
[2] - عباس حسن،النحو الوافي، دار المعارف،القاهرة،ط16، 2007م،ص 10/1.
[3] - عبد العليم إبراهيم ،النحو الوظيفي، دار المعارف،القاهرة ،ط9، 1389هـ - 1969م،ص 207 وما بعدها .
[4] - عبده الراجحي،التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،ط2، 1420هـ - 2000م ،ص19.

للطلاب في التدريب،على أنه قد يتبع بعض الدروس بطائفة من الأمثلة والشواهد غير المعربة ليختبر المتعلم نفسه،مثلما فعل عند معالجة الإعراب الظاهر والمقدر([1]) ، كما حرص أصحاب كتاب النحو الواضح على اتباع كل درس بمجموعة من التدريبات المأخوذة من واقع التلميذ ، لتسهم بشكل فعال في تربية الملكة اللغوية للتلميذ وهو ما نحتاج إليه.

ويجب أن ندرك أن الغاية ليست حفظ قواعد اللغة عن ظهر قلب والإجابة عن أسئلة التدريبات والتمرينات الموجودة في الكتب ؛فهذا الإتجاه أضر اللغة وأسهم في تكوين إتجاهات سلبية نحو مادة اللغة العربية ككل ([2]).

2- النمط الثاني :

رأى ضرورة إدخال تعديلات على ما أنتجه القدماء ،إلا أن أغلب هذه المحاولات لم تقدم بديلا يمكن الاعتماد عليه أو الاستئناس به في تيسير النحو، وكل ما قاموا به لا يعدو أن يكون نوعا من الترديد لآراء سابقة لم يستطع أصحابها أن ينتصروا لها . فهل يمكن أن ينتصر لهم غيرهم ؟!

وتتلخص أهم محاور التيسير التي اعتمد عليها أنصار هذا النمط في:

1- **الدعوة إلى إلغاء نظرية العامل** :

مثلت الدعوة إلى إلغاء نظرية العامل محورا مهما من المحاور التي اعتمد عليها نفر كبير من المحدثين في تيسير النحو العربي ، وما هي في حقيقتها إلا صدى لدعوة ابن مضاء ([3])وقد بدا هذا واضحا لدى شوقي ضيف، الذي تأثر بدعوة ابن مضاء تأثرا واضحا في مقدمة تحقيقه لكتاب الرد على النحاة ، ثم في كتابه (تجديد النحو) ، وكان الأستاذ إبراهيم مصطفى واحدا من الذين نادوا برفض نظرية العامل، كما أن تمام حسان رفض نظرية العامل ، وقدم نظرية القرائن لتكون بديلا عنها ، وهو أمر يحتاج إلى التروي والتمهل قبل إصدار الأحكام ، ؛لأن القدماء قد تنبهوا إلى وجود معظم هذه القرائن وضرورة تضافرها في إيصال المعنى ومع هذا لم يرفضوا فكرة العامل .

2- **الدعوة إلى إلغاء العلل والقياس :**

مال المحدثون - وفي مقدمتهم شوقي ضيف - إلى الاعتقاد بأن العلل والأقيسة كانت سببا في تعقيد النحو العربي ، وفي هذا متابعة واضحة لرأي ابن مضاء(ت592هـ) ،إذ قسم العلل إلى أنواع ،فرأى إلغاء العلل الثواني والثوالث والإبقاء على الأول([4])، وذلك لرغبتهم في تصفية النحو العربي مما علق به من شوائب ، في حين أنكر عباس حسن على النحاة اهتمامهم بالعلل ورأى أنها علل زائفة لاتمت إلى العقل بصلة وميز بين نوعين من العلل هما : تعليلات تنظيرية ، وتعليلات غير تنظيرية ، ويرى ضرورة الاقتصار على فكرة واحدة مفادها أن التعليل الصحيح يكتفى فيه بمقولة واحدة وهي (متابعة كلام العرب)([5]) إذ لا علة عنده إلا محاكاة كلام العرب والنسج على منواله.

3- **الدعوة إلى إلغاء الإعراب :**

---

[1] - المرجع السابق،ص32.

[2] - ينظر : - زكريا إبراهيم ، طرق تدريس اللغة العربية ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ،1999م، ص230 .

[3] - ينظر: ابن مضاء القرطبي، ص76وما بعدها.

[4] - ينظر المرجع السابق،ص130 وما بعدها .

[5] - ينظر: عباس حسن ،النحو الوافي،39/1.

أخذت الدعوة إلى إلغاء الإعراب صورا متعددة ،منها الدعوة إلى إلغاء الإعراب التقديري والمحلي،والاستغناء عن إعراب كل ما لا يفيد في تصحيح الكلام وسلامة النطق وبدا هذا واضحا عند شوقي ضيف على نحو ما بينا ، ثم الدعوة إلي تسكين أواخر الكلمات بدعوى التيسير والتسهيل وهو ما اتخذه دعاة العامية نواة يرتكزون عليها لتحقيق مقاصدهم الخبيثة .

4- الفرار من التمارين غير العملية :

لجأ بعض العلماء ولاسيما القدامى منهم إلى استخدام بعض التمارين التي تدل على براعتهم وتظهر تمكنهم من لغتهم ، ورأى المحدثون أنه يجب الابتعاد عن مثل هذه التمارين التي تشبه الأحاجي والألغاز ، لأنها تضفي نوعا من الصعوبة تنفر الطلاب من الإقبال على تعلم النحو لذا فقد نادوا بضرورة إقصاء هذه التمارين،ونادى بهذا غير واحد من العلماء المحدثين،منهم شوقي ضيف متابعا بذلك دعوة ابن مضاء القرطبي الأندلسي، ونادى عباس حسن بنبذ التمارين غيرالعملية لأنها متكلفة؛لذا فيحسن عدم القياس عليها،لأنها تخرج عن سنن لغة العرب التي نحاكيها ، وأشار إلى مواضع مخصوصة منها:الإخبار بالذي والألف واللام ، ويري أنه لا فائدة من ذلك وأشباهه .

أوجه الإتفاق بين الفريقين ووقفة مع بعض المحاور:

- الإحساس بصعوبة تعليم القواعد النحوية : تنبه كل من القدماء والمحدثين إلى صعوبة تعلم القواعد اللغوية .

- القيام بعدد كبير من المحاولات التي تهدف إلى تيسير القواعد النحوية وهي محاولات مخلصة وصادقة النية في مجملها ، والتي تقصر الجهود الفردية عن جمعها واستيفائها، لما يتطلبه ذلك من جهد جبار.

- تنوع الأساليب التي اتبعوها : فيحمد لكل من القدماء والمحدثين حرصهم على تنوع أساليبهم في تيسير القواعد النحوية ،فقد تنوعت ما بين الشروح تارة والاختصار تارة أخرى ،أو استخدام الشعر المنظوم؛ لتسهيل حفظ القواعد النحوية والجدير بالذكر أن النحاة ليسوا أول من استخدم الشعر في تسهيل التعلم والحفظ ،وإنما تأسوا في ذلك بالمنظومات التي ألفت في العلوم الدينية كالفقه والحديث ([1])، أما المحدثون فقد تأسوا بآراء بعض القدماء وببعض أساليبهم من شرح واختصار ،بالإضافة إلى محاولة الاستفادة من العلوم التربوية التي تفتقت عنها النظريات التربوية الحديثة . ويرى الباحث أنه بالرغم من كل هذه الجهود المضنية لتيسير النحو العربي وتقريبه لأبناء العربية إلا أن الشكوى من النحو العربي مازالت قائمة ، وأن الصعوبات التي قامت عليها معظم محاولات التيسير تحتاج إلى وقفة ،إذ أرى أن النحاة قد حملوها فوق طاقتها وقدرتها فكالوا لها الاتهامات ولاسيما ما يختص بالإعراب ونظرية العامل ، والعلل والقياس ، بالإضافة إلى بعض التمارين التي أرجعوا إليها السبب في صعوبة النحو العربي ، ويرى الباحث أن هذه دعوات ظالمة يعوزوها التأني، لأن وقفة متأنية تجلى لنا الحقائق ، وهو ما سنعمل جاهدين على توضيحه في الصفحات القليلة القادمة.

الإعراب ونظرية العامل :

تبارى بعض النحاة القدامى والمحدثين في توجيه الاتهامات للإعراب ونظرية العامل وأرجعوا إليهما السبب في صعوبة النحو العربي وتعقيده ، لذا دعا العديد منهم إلى إلغاء الإعراب ونظرية العامل ،وهناك ارتباط وثيق بين فكرة العامل والإعراب؛ لذا فكل هجوم على فكرة العامل هو في الوقت نفسه هجوم على الإعراب والعكس صحيح ، فكل نقد

[1] - ينظر : عبدالله بن صالح الفوزان، دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، 9/1 .

يوجه للإعراب هو نقد لنظرية العامل، فهناك من دعا إلى تسكين أواخر الكلمات وهو ليس بالأمر الجديد فقد تنبه القدماء أنفسهم إلى تسكين أواخر الكلمات ، ولكن حال الوقف فقط، مع اختلافهم في طرق الوقف " فقد قيل إن ربيعة تقف بالسكون على الاسم المنون أيا كانت حركته... أما موقف قريش ومن حذا حذوهم من القبائل الحجازية فقد وقفت موقفا وسطا بين من ينتظرون ومن لا ينتظرون ،فتراهم في وقفهم على الاسم المنون يسقطون الضم والكسر ويبقون على الفتح قائلين:

هل جاء خالدْ ، هل مررت بخالدْ ، هل رأيت خالدا ،وربما كان السر في الإبقاء على الفتح أنه أوضح في السمع من الضم والكسر ويتطلب زمنا أطول للنطق به وسقوط الصوت الأكثر وضوحا من الكلام يبرز للسامع بصورة تشعره بفقدان شيء أو نقصان شيء... وطريقة قريش والقبائل الحجازية في الوقف أفصح الطرق وهي الشائعة في فواصل القرآن الكريم" ([1])

في حين نادى بعض الموهومين أمثال سلامة موسى إلى إلغاء الاعراب - وهو أمر غير مقبول- إذ يقول إن تعليم العربية لايحتاج إلى قواعد النحو،ولاسيما في المرحلة الإبتدائية فيكفي أن يسكن التلميذ أواخر الكلمات ،ولاحرج في أن يرفع المفعول وينصب الفاعل،أما المرحلة الثانوية فندخل قدرا يسير ،دون الاهتمام بالإعراب فلا فائدة منه ([2]) وهذا أمر يدعو للحيرة والتعجب؛لأن الإعراب من أهم خصائص العربية " فقد أتاح الإعراب للتركيب العربي التمتع بكل ميزات التغير والتحول إلى أشكال متعددة دون الجمود على هيئة واحدة ، أو الحاجة إلى الكلمات فقط لأداء المقاصد " ([3]) ولهذا لم يناد القدماء بإلغاء الإعراب لأنهم يدركون أهمية الإعراب وأثره في المعنى فها هو الإمام عبد القاهر الجرجاني(ت 471 هـ) يقول : "الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها،وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها ، وأنه المعيار الذي لايتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه ، والقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه " ([4])

نعم يدرك القدماء أثر الإعراب في تجلية المعني ودفع اللبس ،وتشهد بذلك أساليب العربية المتعددة من استفهام وتعجب ونفي ومع هذا يخطئ من يعتقد أن النحو العربي هو الإعراب فقط ، وهو ما أكده ابن خلدون(ت808هـ) عندما أشار إلى كتاب سيبويه عند حديثه عن الملكة اللغوية فيقول " فإنه لم يقتصر على قوانين الإعراب فقط ،بل ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم فكان فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة ،فنجد العاكف عليه والمحصل له قد حصل على حظ من كلام العرب واندرج في محفوظه وفي أماكنه ومفاصل حاجاته وتنبه به لشأن الملكة فاستوفى تعليمها " ([5]). وهذا ليس بغريب علي سيبويه(ت 180هـ) فالملكة اللغوية والصناعة العلمية هما الأصل في كتابه، وتربية الملكات اللسانية يحتاج إلى وعي وفهم ومران كثير .

ويكفي هنا أن نورد شهادة لعلي أبو المكارم تنفي عن النحو العربي عددا من التهم المنسوبة إليه فيما يتعلق بعدم اهتمامه بالتركيب اللغوي " ليس صحيحا ما رمي به النحو العربي من أنه لم يهتم بدراسة التركيب اللغوي ،وإنما

---

[1]- إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة، ،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،ط6، 1978م ، ص226-227.

[2]- ينظر: سلامة موسى ، البلاغة العصرية واللغة العربية ، سلامة موسى للنشر والتوزيع ،ط1، 1945م ،ص134- 135.

[3]- محمد محمد حسين ،أزمة العصر، دار عكاظ ،جدة، 1978م ،ص 94.

[4]- عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة،1404هـ - 1984م ص28.

[5]- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي،المقدمة ، مطبعة محمد عبد الرحمن محمد لنشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية، بيروت، لبنان ،ص560-561.

قصد إلى تحليل أواخر الكلمات فحسب،والواقع أن هذا الحصر لميدان البحث اللغوي وإن اعتمد على بعض تعريفات للمتأخرين من النحاة فإنه قد أغفل إلى حد بعيد ما قدمته الدراسات النحوية بالفعل من دراسة لكل الظواهر اللغوية التركيبية هذه الظواهر التي يمكن أن نجد فيها ما يتعلق بالتطابق ، ثم ما يتصل بالترتيب جنبا إلى جنب مع دراسة أحوال أواخر الكلمات " ([1])

وفي هذه الشهادة رد واضح على ماقدمه تمام حسان حين دعا إلى نظرية القرائن ونادى بإلغاء العامل مؤيدا بذلك ابن مضاء قائلا: " تناول بعض النحاة كابن مضاء هذا الفهم لطبيعة العلاقات السياقية بالنقد والتفنيد والتجريح ولكنه بعد أن أبان فسادها بالحجج المنطقية لم يأت بتفسير مقبول لاختلاف العلامات الإعرابية باختلاف المعاني النحوية يقم مقام العامل فهما آخر لهذه العلاقات غير قوله ،إن العامل هو المتكلم فجعل اللغة بذلك أمرا فرديا يتوقف على اختيار المتكلم ونفى عنها الطابع العرفي الاجتماعي الذي هو أخص خصائصها "([2])

واذا كنا نتفق مع تمام حسان، فيما ذهب إليه من أن ابن مضاء لم يقدم بديلا لفكرة العامل التي نادى بإلغائها،إلا أننا لا نتفق معه في أن يكون ابن مضاء قد أبان فساد فكرة العامل .

ويرى الباحث أن اللجوء إلى القرائن بالصورة التي يدعونا إليها تمام حسان لا تمثل الحل السحري لتيسير النحو بجعلها بديلا لفكرة العامل فما هي إلا محاولة لاستقراء ما أنتجه القدماء الذين أدركوها ومع هذا لم يهملوا فكرة العامل ، فقد تشكل القرائن صعوبة نظرا لتداخلها ، أو عدم وضوح بعضها في كثير من الأحيان ، فالقرينة الواحدة قد يندرج تحتها عدد من القرائن ،ويظهر هذا في القرينة المعنوية وخاصة ما يتعلق بحروف النسبة إذ إن لكل حرف منها عدد من المعاني المتباينة مثل (ابتداء الغاية، وانتهاء الغاية، البعضية.....) تصل إلى ثلاثين قرينة وهذا ما أشار إليه تمام حسان نفسه بقوله :" فإذ زدنا هذه القرائن المعنوية قرينة الإضافة صارت هذه القرائن الداخلة تحت مفهوم النسبة ثلاثين قرينة معنوية " ([3])

وإذا كان تمام حسان قد جعل الإعراب قرينة من القرائن،إلا أنه أنكر على النحاة اهتمامهم به دون غيره من القرائن وقد صرح بذلك في غير موضع فقال في تقديمه لكتاب (الرخصة النحوية) لشوكت علي عبد الرحمن درويش : "لم يحتف النحاة بقرينة نحوية دالة على المعنى قدر عنايتهم بالإعراب أما القرائن النحوية الأخرى ... فلم يمنحوها قدرا من الانتباه إلا عندما يتوقف المعنى على واحدة منها بعينها . فإذا لم يتضح الفاعل من المفعول في الجملة كما في : ضرب موسى عيسى .دعا النحاة إلى حفظ الرتبة في الجملة فكان الأول فاعلا والثاني مفعولا ، وإذا قرؤوا قول الشاعر:

نحن الألى فأجمع جمو عك ثم وجههم إلينا

أدركوا أن قرينة التضام لم تتحقق في البيت لإهمال إيراد صلة الموصول (الألى) ،ثم استخرجوا المعنى من قرينة أخرى هي : (فأجمع جموعك إلخ..) أي نحن الألى نتحداك " ([4])

[1]- علي أبو المكارم،الظواهر اللغوية في التراث النحوي، دار غريب للطباعة والنشر،القاهرة،2006م ، ص25.
[2]- تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1973م ،،ص185.
[3]- تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ،ص203.
[4]- شوكت علي عبد الرحمن درويش،الرخصة النحوية، طبعة وزارة الثقافة عمان،1425 هـ-2004 م ،ص6.

وفي هذه الكلمات التي سطرها تمام حسان دليل ضمني على معرفة القدماء بالقرائن،وإن لم يحتفوا بها قدر احتفائهم بالإعراب ، ولكن تُرى ما السر الذي دفعهم لتقديم الإعراب على غيره من القرائن مع علمهم بها ؟!

ونجد الإجابة على هذا السؤال عند عثمان أمين " ولما كانت العربية تتوخى الإيضاح والإبانة كان الإعراب إحدى وسائلها لتحقيق هذه الغاية ،فكان إفصاحا عن صلات الكلمات العربية بعضها ببعض ،وعن نظم تكوين الجمل بالحالات المختلفة لها .وفي اللغات الخالية من الإعراب يعتمد أهل اللغة على القرائن وعلى إضافة كلمات إلى الجملة لفهم المقصود من المعاني ولكن الاعتماد على القرائن ربما لا يطرد – كما يقول صاحب الطراز – فأوجبت العربية التفريق بين الفاعل والمفعول، وإلا وقع اللبس والإبهام "([1])

وقد خالف قطرب اجماع النحاة وحدة حين ذهب إلى أن العرب لم تأت بعلامات الإعراب لتعيين المعاني وإنما للتوصل إلى سرعة النطق حتي لا يتعثر المتكلم عند النطق وهو أمر غير مقبول كما يقول غانم قدوري الحمدصاحب كتاب(أبحاث في العربية الفصحى) :" وقد ذكرت في أول بحثي أن علماء العربية قالوا :إن الحركات الإعرابية دوال على المعاني ،وأن محمد بن المستنير الملقب بقطرب ذهب وحده إلى أن حركات الإعراب جيء بها للتوصل إلى السرعة في النطق وإدراج الكلام حتى لا يتعثر المتكلم في نطقه. وهذا موضوع لا صلة له بإنكار أصالة الإعراب " ([2])

ولعلك تعجب أشد العجب من موقف تمام حسان نفسه عند تقديمه لكتاب الرخصة النحوية إذ يقول :" وقد كان النحاة على علم بهذه القرائن بدليل تعريفهم للفاعل بأنه :(اسم مرفوع تقدمه فعل مبني للمعلوم ودل على من فعل الفعل أو قام به) أي : (أو تحقق الفعل من خلاله). فالمعنى النحوي كما رأينا لا يتحقق بقرينة واحدة وإنما تتعدد القرائن الدالة عليه ومن شأن هذا التعدد أن يجعل أحد القرائن أحيانا غير ضرورية لأن غيرها من القرائن أغنى عنها ... وعندئذ يستطيع صاحب النص أن يترخص في السياق بعدم الاعتماد على هذه القرينة وأن يجعل عدم رعايتها في الكلام رخصة لا يعيب النص أن يأخذ بها "([3])
فلماذا لم يعد تمام حسان ما قام به النحاة من احتفاء بالإعراب على حد قوله من الترخص الذي لايعيب ؟! ألم يغن الإعراب عن غيره من القرائن ولا سيما أنهم يلجأون إلى قرائن أخري في حالة عدم ظهوره ؟! إن الإجابة على هذه الأسئلة قد تزيل الدهشة والحيرة وتحسم الخلاف إلى حد بعيد . فإذا كان الإعراب من أهم السمات التي تتفرد بها العربية " فلا يمكن الحديث عن قدسية العربية إلا والإعراب أهم مظاهرها "([4])

ويجب أن ندرك أن الطعن في الإعراب والدعوة إلى إلغائه أو التخفف منه هو وسيلة للنيل من العربية ووحدة أبنائها ،ورغم كل ما أثير من جدل أو نقد للنظرية العامل والإعراب فقد بقي الإعراب شاهدا على دقة العربية ومميزا لها عن غيرها من اللغات ([5])

[1]- عثمان أمين،فلسفة اللغة العربية ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ،1965م ،ص52.
[2]- غانم قدوري الحمد ،أبحاث في العربية الفصحى، 167-168.
[3]- شوكت علي عبد الرحمن درويش، الرخصة النحوية ، ص8-9.
[4]- فؤاد بو علي،الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي، عالم الكتب الحديثة ، الأردن،ط1، 2011م ،ص95.
[5]- إبراهيم أنيس،من أسرار اللغة ،ص198.

وستظل فكرة العامل شاهدة على سمو الفكر العربي ، ولا يمكن أن نقلل من أثرها في تقريب قواعد العربية، كما سيظل الإعراب بمفهومه الواسع شاهدا على تميز العربية ، وحاميا لتراثها ولأساليبها من كل محاولات التغريب والهدم،فهو صمام الأمان للعربية ، الذي يصونها من اللحن والتحريف .

القياس :

القياس هو أحد الدعائم التي تقوم عليها العلوم ،ومنها علم العربية ،وقبل أن نتطرق لأهميته وما تعرض له من نقد واتهامات ،نقف على مفهوم القياس .القياس لغة :ورد مفهوم القياس في لسان العرب لابن منظور(ت711هـ) بمعنى التقدير" قاس الشيء يقيسه قياسا.. إذا قدره على مثاله "([1])

ويعرفه إبراهيم أنيس بقوله: " ليس القياس إلا استنباط مجهول من معلوم فإذا اشتق اللغوي صيغة من مادة من مواد اللغة على نسق صيغة مألوفة في مادة أخرى سمي عمله هذا قياسا ، فالقياس اللغوي هو مقارنة كلمات بكلمات أو صيغ بصيغ أو استعمال باستعمال ،رغبة في التوسع اللغوي وحرصا على اطراد الظواهر اللغوية "([2]) ،أوهو" حمل فرع على أصل بعلة وإجراء حكم الأصل على الفرع"([3]) ،ويعرفه مهدي المخزومي بقوله: " حمل مجهول على معلوم ،وحمل ما لم يسمع على ما سمع ، وحمل ما يجد من تعبير على ما اختزنته الذاكرة ووعته من تعبيرات وأساليب كانت قد عرفت أو سمعت " ([4])

ويمكن القول بأن القياس بدأ مع بداية التأليف في النحو كما أشار إلى ذلك ابن سلام الجمحي(ت232هـ) في مقدمة كتابه(طبقات فحول الشعراء) " وكان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي "([5])

و قد صاحبت نشأة القياس نشأة النحو ،كما أنه لم يقتصر على النحو وحده "بدأ القياس ونشأ مع النحو،ونما معه أيضا منتقلا إليه من علوم الشريعة. ولا أعنى بالانتقال أنه اصطنع أولافي علوم الشريعة ثم استعير إلى علوم اللغة ، ولكن دعت الحاجة إليه في الشريعة، ثم أصبح منهجا عاما وطريقة سائدة "([6]) وقد كان القياس وسيلة من الوسائل الوسائل التي لجأ إليه القدامى لحفظ اللغة وإذا كان للقياس وجوه متعددة فقد رأى البعض ومنهم محمد حسن عبد العزيز ضرورة الاقتصار على وجهين من وجوه القياس ،هما: القياس الاستعمالى ويقصد به محاكاة طرائق العرب وحمل كلامنا على كلامهم سواء في صوغ الكلمة من(إعلال وإبدال وزيادة وحذف..) أو في نظام الكلام من (تقديم وتأخير واتصال وانفصال وحذف وذكر وإعراب وبناء...)، وبذلك يكون القياس وسيلة لاكتساب اللغة منذ الطفولة، أما الوجه الثاني فهو القياس النحوي، ويعتمد على ما يبتدعه النحوي لعلة المشابهة مع الثابت عن العرب بالنقل الصحيح ،حتى قالوا أن النحو كله قياس. ([7])

---

[1]- محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ، لسان العرب ،دار صادر ،بيروت،ط1،187/6.
[2]- إبراهيم أنيس،من أسرار اللغة ،ص8.
[3]- أبوالبركات الأنباري(ت577هـ)،لمع الأدلة في أصول النحو ، تحقيق،د.عطية عامر، المطبعة الكاثوليكية،بيروت،1963م، ص42.
[4]- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا بيروت،ط1، 1964م ،ص20.
[5]- ابن سلام الجمحي ،طبقات فحول الشعراء، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1422هـ - 2001م ، ص29.
[6]- سعيد جاسم الزبيدي،القياس في النحو العربي نشأته وتطوره، دار الشروق،الأردن،ط1، 1997م ،ص15 .
[7]- ينظر : محمد حسن عبد العزيز،القياس في اللغة العربية، دار الفكر العربي،ط1، 1995م ، ص20.

وقد نشأ القياس نشأة فطرية " فالقياس- بوصفة أصلا من أصول النحو العربي- نشأ فطريا ثم تأثر خطى القياس الفقهي "([1])

ويجب أن ندرك أنه لايمكن الاستغناء عن القياس بحال من الأحوال ،لأن القياس عملية فطرية ،يقوم بها الكبير والصغير ،كما أنه يغني اللغة ويحافظ على بقائها في آن؛ فالفرد ينتج صيغا وتراكيبا على نحو ما يسمع مستخدما القياس " ولو صح أن يضع الواضع لكل معنى لفظا يختص به لكان الحرج الذي تقع فيه اللغة أن تضيق المجلدات الضخمة عن تدوينها ... فالقياس طريق يسهل به القيام على اللغة ، ووسيلة تمكن الإنسان من النطق بآلاف من الكلم والجمل دون أن تقرع سمعه من قبل، أويحتاج في الوثوق من صحة عربيتها إلى مطالعة كتب اللغة أوالدواوين لمنثور العرب ومنظومها "([2])

والباحث يتفق معه تماما في هذا لأن القياس كما يقول إبراهيم أنيس " هو الأساس الذي نبني عليه كل ما نستنبطه من قواعد ... فالقياس بمثابة المكيال أو الميزان الذي يبين لنا الصحيح من الزائف وما يقبل وما يرفض " ([3])،أنه يهدف إلى تنظيم مسائل النحو كما يقول دي سوسور(Ferdinand De Saussure) "القياس .. يجنح نحو توحيد الأساليب العربية وأساليب التركيب "([4])

والباحث يرى أن القياس مظهر من مظاهر قدرة العربية على النمو ومواكبة التطور اللغوي في كل العصور والدعوة إلى إلغائه بغية التيسير دعوة غير صائبة،لا يجب متابعتها إذا أردنا التيسير؛لأن القياس أمر فطري يقوم به الكبير والصغير ،كما أنه يغني اللغة ويحافظ على بقائها فى آن إلا أنه ينبغي الحذر من التوسع المفرط في القياس؛لأنه قد يؤدي إلى الاضطراب والفوضى.

التعليل :

هناك ارتباط وثيق بين نظرية العامل واستخدام القياس والتعليل الذي لجأ إليه علماء العربية لتفسير ظاهرة ما أو حكم من الأحكام،وهنا يتبادر سؤال إلى الذهن وهو لماذا لجأ النحاة إلى التعليل ؟ والإجابة على هذا السؤال ليست بالصعبة أوالعسيرة فقد " تفترق بعض قواعد النحو عما أصله جمهور النحاة في نظريتهم العامة للعمل النحوي ،فيمكن أن يعمل الاسم عمل الفعل في بعض الحالات كاسم الفاعل ،واسم الفعل ،ويمكن أن يسبق المسند المسند إليه ،كما في الجملة الفعلية ،وقد يعمل الحرف في الاسم النصب كـ"إن" وأخواتها ،أو الرفع كـ "ما" الحجازية .كما قد يعمل الحرف النصب في الفعل المضارع كـ"أن" الناصبة للمضارع وأخواتها .وهذه المفارقة بين النحو ونظريته في بعض وجوه العمل سبب موجب للتعليل ؛لأن نظرية النحو باعتبارها مثالا يجب أن تكون متطابقة مع النحو باعتباره ممثولا لها ، وهذه المطابقة تستدعي رد ما خالف أصله في العمل إلى أصل العمل النظري بالتعليل " ([5])

ولا أدري لما يعتقد البعض أن التعليل هو سبب صعوبة النحو ،أليس التعليل هو طلب الفهم ،وهو مطلب العقل ،وهوأمر فطري لدى الناس عند جهل أمر من الأمور " فالتعليل الذي اعتقد العديد من الباحثين أنه إبداع نحوي

---

[1] - سعيد جاسم الزبيدي،القياس في النحو العربي نشأته وتطوره،ص15.

[2]- محمد الخضر حسين ، دراسات في العربية وتاريخها، المكتب الإسلامي ،دمشق، ص25.

[3]- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة ،ص8.

[4]- دي سوسور فردينان ،علم اللغة العام ، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، راجعه د. مالك يوسف المطلبي ، دار آفاق عربية للصحافة والنشر، العراق – بغداد، 1985م ،ص85.

[5]- حسن خميس سعيد الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق، عمان، 2000م ،ص125.

تأثر فيه النحاة بالأفكار والفلسفات الدخيلة،ليس في جوهرة إلا إعادة إنتاج لما سبق إنتاجه من لدن العربي الفصيح الذي كان على وعي تام بعلل كلامه "([1])

وعلى هذا فيمكننا أن نرد بكل حسم على من يطالب بإلغاء العلل لأنها مطلب العقل الذي يرتبط بعملية التعليم التي تقوم على الإقناع " فكانت دوافع التعليل طبيعة العقل البشري الذي يسأل عن الأسباب الكامنة وراء أي ظاهرة مهما كان نوعها، والبحث في أسرار حكمة واضع اللغة العربية بتأثير الإيمان بفكرة الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ،وكانت الطبيعة الاجتهادية للعلة النحوية دافعا للنحاة حتى يبذلوا جهدهم في تعليل أحكام النحو ؛ لأنه وسيلة منهجية في شرح أحكام النحو وترسيخها وإثبات صحتها، وخاصة أن تعليم النحو يرتبط بالمعيار، والمعيار فيه تعليل "([2])

ومن الإنصاف أن نبين أن علماء المذهب الظاهري قد اعترفوا بالعلل اعترافا جزئيا ، فابن مضاء مثلا نادى بإلغاء العلل الثواني والثوالث والاقتصار على العلل الأول فقط ، أي أنه لم يدع إلى إلغائها مطلقا ،لأنه لايمكن الاستغناء عن التعليل لأن النحوي يجد نفسه مدفوعا إلى استخدامه وخاصة في مقام التعليم ، وهذا ما يؤكده تمام حسان بقوله" ومع أنني أنفر من التصدي لتعليل الظواهر اللغوية أجدني مدفوعا هنا إلى ملاحظة أن عدم وجود قرينة العلامة الإعرابية

في المبنيات قد جنح إلى قرينة الرتبة وجعل الرتبة عوضا لها من العلامة الإعرابية "([3])

ويرى الباحث أن استخدام النحاة للتعليل يدل على براعتهم واستخدامهم المنهج العلمي في التفكير ،ولاحرج في التنقيب عن علل أخرى- عند الحاجة- تتواكب مع روح العصر،إلا أن هذا يجب أن يتم بحذر ووعي كبيرين،لأن التسرع ، وعدم التأني والتدقيق يصب بشكل حتمي في مصلحة العامية ،التي استفحل أمرها،وعلت أصوات أنصارها،ولا سيما بعد ظهور النزعات الاستيطانية للمستعمرين في بلاد العرب،وهذا يقودنا للحديث عن الفصحى والعامية.

بين العامية والفصحى:

تعد الدعوة إلى العامية من أخطر الدعوات التي تهدد واقعنا اللغوي المعاصر،وينبغي أن ندرك بداية أن وجود العامية في لغتنا العربية اليوم ليس بالأمر الشاذ أو الغريب لأن المتتبع لتاريخ اللغة يلاحظ أن هذه الظاهرة تلازم العربية منذ أقدم عصورها،ومع هذا لم يحدث صدام أوصراع بين العامية والفصحى فلكل منهما ميدانه الخاص وقد" عاشت العربية الفصحى بجانب العامية في ذلك الوقت دون أن يحدث بينهما تنافس أو مزاحمة .إذا اختصت كل منها بميدان ،احتلت العامية ميدان التعامل في الحياة والتعبير عن الحاجات المادية والوقتية ،ولم تطمع قط في أن تكون لغة للأدب الرفيع ... واحتلت الفصحى ميدان الأدب لا يزاحمها فيه مزاحم إلا ما يكون من خطأ الكتاب والشعراء عن غير عمد منهم "([4])

[1]- فؤاد بو علي ،الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي،ص123.
[2]- حسن خميس الملخ،نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين،ص259- 260
[3]- تمام حسان ،اللغة العربية معناها ومبناها،ص208.
[4]- نفوسة زكريا سعد ، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار نشر الثقافة ،الإسكندرية ،1964م ، ص7.

والمدقق لا يجد أثرا للصراع بين العامية والفصحى قبل ظهور الدعوات الأجنبية التي تزامنت مع النزعات الاستعمارية ، وقد بدأت هذه الحملة على يد ولكوكس ذلك المهندس الإنجليزى الناقم على العربية وأهلها، من خلال محاولات متعددة لنشرالعامية من خلال إدخال العامية في نماذج أدبية رفيعة حتي يشجع المصريين على مجاراته ، فترجم عددا من الأعمال الأدبية الرفيعة مثل : ترجمة بعض القطع من روايات شكسبير، كما ترجم الإنجيل إلى العامية، ولم يقتصر الأمر على الترجمة بل تعداه إلى تأليف بعض الكتب بالعامية، فألف كتاب (الأكل والإيمان) ([1])

والباحث لا يستغرب هذا عندما يصدرعن الغرب صاحب االميول الاستعمارية،ولكن الذي يدعو للعجب أن نجد بعض أبناء العربية يؤيد هذا، والمصيبة الكبرى أن مثل هذه الدعوات الهدامة تجد من يقف إلى جانبها ويدعمها ،لدرجة أن البعض من أمثال سلامة موسى لم يخجل من إنكار الحقائق-التي لاينكرها الغرب نفسه- فنجده يصم حضارة قومه بالتخلف،ويدعو لهدمها،واتباع حضارة الغرب-الزائفة- فيقول: " وفي وقتنا الحاضر ،في مصروالأقطار العربية ،يجب أن يكون الأدب كفاحا نحارب به رواسب القرون المظلمة ...،كما ندعو إلى الحضارة العصرية،أي حضارة أوروبا، إذا نحن على يقين بأنه إذا كانت الشمس تشرق من الشرق فإن النور يأتي إلينا من الغرب " ([2])

وفي الحقيقة إن هذه الدعوات التي تطالب باستخدام العامية على نطاق واسع ، لا تنتهج سبيلا يمكن القارئ لها من تبين هدفها ،إذا دائما ما تسلك طرقا ملتوية للوصول إلى غايتها،وهذه سمة تلك الدعوات المضللة التي تزيف وعي المجتمع بتلك الدعوات البراقة الزائفة.

ومع هذا لا يمكن أن تحل العامية محل الفصحى ،وهو ما يؤكد عليه إبراهيم مصطفى في إطار دفاعه عن الفصحى في مجلة الأزهر،وقد نقلت نفوسة زكريا عنه قوله : " إدعاء أن العامية يمكن ضبطها واستخدامها في الكتابة إدعاء باطل لا يمكن تحقيقه ... وعلى فرض أننا جمعنا تحريفات العامة وأحصيناها ونظرنا في تشابهاتها ،ووضعنا لها روابط وقواعد واتفقنا على استعمالها ، فمن ذا الذي يضمن لنا عدم خروج العامة عنها مدفوعين إلى ذلك بالأسباب التي أخرجتهم عن قواعد لغة القرآن "([3])

بصراحة إن العربية الفصحى هي الملاذ الآمن عند تنافر العاميات، ويؤكدهذا ما قاله كمال بشر: " التقينا في باريس في الخمسينيات مجموعة من الأخوة الجزائريين وحاولنا تبادل الاحاديث بلهجاتنا المحلية فلم نفلح ،ولم يستطع كل فريق أن يستوعب مقولة الفريق الآخر .فلجأنا إلى العربية التي تجمع بيننا وحاولنا توظيفها بمستوى معين، واستطاعت أن تكون منا صحبة نعمت بجو من الألفة والمحبة ووحدة الشعور والأحاسيس إلى أن افترقنا مشحونين بعواطف الأخوة ومتعة لقاء الأشقاء"([4])

ويرى الباحث أن الوقت قد حان لتعود المياه إلى مجاريها ، وأن نستمع إلى الأصوات العاقلة التي تنادي بالتقريب بين العامية والفصحى ، دون أن تقصي إحداهما الأخري ، فهل من مشمر؟!

سبل تيسير النحو العربي:

[1]- ينظر : نفوسة زكريا سعد ، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر ،ص55-72.
[2]- ينظر : سلامة موسى ، الأدب للشعب ،مؤسسة هنداوي، القاهرة ،ص13.
[3]- نفوسة زكريا سعد ، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر ،ص105-106.
[4]- كمال بشر ، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،1999م ، ص 331.

إن التيسير الفعلي للنحو العربي ،لا يحتاج إلى الشعارات أو الخطب الرنانة وإنما يحتاج إلى القيام بخطوات عملية على أرض الواقع تتسم بالمنهجية العلمية ،كما تحتاج إلى تضافر الجهود من أجل التغلب على الحواجز النفسية التي حاول المغرضون الترويج لها ،فلا يمكن بحال من الأحوال أن نلقي باللائمة على قواعد اللغة وحدها ،أو المعلم وحده ،أو الطالب وحده ،فالتيسير الفعلى لن يتحقق إلا بتضافر الجهود وتوحيد الغايات والأهداف والمرامي، على أن يتم كل هذا تحت مظلة كبيرة تدعمها الحكومات العربية وتكون لها صبغة دولية ، يتولى الإشراف عليها قامات العربية في العصر الحديث دون تحيز أو تعصب(فكلنا في الهم شرق)، ولكي نصل إلى الغاية والهدف المنشود يجب أن ترتكز جهودنا على عدة محاورمنها:

* الاهتمام بإعداد معلم اللغة العربية .
* زيادة دافعية الطالب (الناشئ) نحو تعلم لغته الفصحى.
* إعادة صياغة القواعد النحوية .

وتنفيذ هذه المحاور وغيرها هو مسئولية مشتركة بين المؤسسات التربوية والمؤسسات الأكاديمية،وليس مسئولية فردية تضطلع بها إحداهما بمعزل عن الأخرى، وذلك بخطوات علمية مدروسة تتواكب مع طبيعة العصر، وبإشراف أكبر عدد ممكن من العلماء التربوين والأكاديمين المشهود لهم بالكفاءة والمهارة وحب اللغة العربية – لغة القرآن الكريم - وسنلقي الضوء على هذه المحاور بإيجاز علنا نتمكن من معرفة البداية المناسبة للتيسير المنشود:

الاهتمام بإعداد معلم اللغة العربية :

المعلم هو اللبنة الأولى التي يجب الاهتمام بها لإصلاح المنظومة التعليمية بصفة عامة ، لأنه يبني بكلمة ويهدم بأخرى ،وهذا ما تدركه الأمم الواعية ،لذا فإن إعداد المعلم بصفة عامة ومعلم اللغة العربية بصفة خاصة يجب أن يخضع لمعايير دقيقة ، ولن نتمكن من فعل ذلك - من وجهة نظري - إلا إذا استطعنا تغير نظرة المجتمع إلى معلم اللغة العربية،لأننا وللأسف انطبعت في أذهاننا صورة سلبية عن معلمي اللغة العربية، أرسى الاستعمار لبنتها ،فانخدعنا وسرنا خلفه نشوه في صورة معلم اللغة العربية ،ولعبت وسائل الإعلام المختلفة دورا فاعلا في تطبيع هذه الصورة السلبية لمعلم اللغة العربية خاصة في أذهان الناس بصفة عامة والطلاب بصفة خاصة ، وهذه الثورة التي يجب أن نقوم بها ليست من أجل المعلم كشخص فقط وإنما من أجل القدوة، لأن أبناءنا إذا غابت عنهم القدوة ضلوا الطريق "والقدوة الصالحة في السلوك اللغوي خير بداية للانطلاق إلى خير اللغة،برعايتها وصيانتها ، والعمل على تثبيت أركانها وضبط حدودها حتى لا تتفرق أوصالها ويذوب بناؤها في بحورالألسن والرطانات الناشزات المتنافرات" ([1])

والقدوة الصالحة – في رأيي- لا تقتصر على معلم اللغة العربية بل إنها تمتد لتشمل كل ما يحيط بأبنائنا (المدرسة – المنزل- الشارع- وسائل الإعلام.....) لذا فإن النهوض باللغة العربية مسئولية جماعية ومجتمعية ، والنهوض بالمعلم هو أولى الخطوات التي يجب الإهتمام بها ، ولا أود ترديد أو إعادة ما توصلت إليه الدراسات التربوية قديما وحديثا حول طرق إعداد المعلم وتأهيله ، وكل ما أريد أن أؤكده أننا نحتاج إلى إرادة سياسية واعية ونافذة لكي نغير تلك

[1]- كمال بشر،اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم ،ص107.

الصورة القبيحة التي رسمناها في مخيلتنا لمعلم اللغة العربية والتي انسحبت بدورها على كل ما هو عربي ، وأرى أن تعديل هذه الصورة ليس صعبا ،لأن المعادلة بسيطة :

تقدير مادي ومعنوي+ معايير + إعداد جيد = صورة أفضل للمعلم(معلم قدوة) وهذه المعادلة تتضمن بنسبة كبيرة إقبال عدد أكبر من أبنائنا النجباء على تعلم اللغة العربية،وكفيل أيضا بجعل المؤسسات التي تعنى بتعليم اللغة العربية تصنف ضمن ما نسميه بـ(كليات القمة) وحينها يعلم الطالب أن مكانته عندما يصبح معلما للغة العربية لا تقل عن غيرها من المهن التي تنال التقدير المادي والمعنوي في مجتمع انقلبت فيه الموازين .

زيادة دافعية الطالب أو الناشئ نحو تعلم لغته :

الطالب(الناشئ) هو محور القضية اللغوية ، وعليه تدور العملية التعليمية كما تؤكد ذلك كل الدراسات التربوية بلا استثناء ، لذا فإن مراعاة ميول الطلاب واهتماماتهم من أهم القضايا التي تشغل بال التربويين ،لذا يجب أن يمتلك الطالب الرغبة الصادقة في تعلم لغته " وإلا فلو ذوبنا له قواعد النحو والصرف في كوب من الشربات وسقيناه إياه بـ(الملعقة الصيني)... فلا أمل في أن يتعلمها،لأن عقله لن يتفاعل معها بل سيرفضها كما يرفض الجسم عضوا غريبا عليه. الهمة والإرادة : هاتان هما كلمة السر والسحر التي تنفتح بها الأبواب،وتذلل بها الصعاب ،وتعنو للإنسان شم الجبال والهضاب!وبدونهما لن يفلح عباقرة الأرض جميعا في تعليم إنسان أي شيء "([1])

ويجب أن نعلم جيدا مدى خطورة القضية اللغوية وأهمية المحافظة على اللغة القومية المنضبطة بالقواعد النحوية والتصريفية ، لأنها تنعكس على جميع جوانب الحياة " من لم ينشأ على أن يحب لغة قومه،استهتر بتراث أمته واستهان بخصائص قوميته، ومن لم يبذل الجهد في بلوغ درجة الإتقان في أمر من الأمور الجوهرية اتسمت حياته بتبلد الشعور وانحلال الشخصية والقعود عن العمل ،وأصبح ديدنه التهاون والسطحية في سائر الأمور"([2]) وهذا ما يجعلنا نجزم أن للوالدين أثربالغ وفاعل في تنمية لغة الطفل وثقلها أوهدمها، باعتبارهما المدرسة الأولى (الأهم والأكثر خطورة وتأثيرا) في بناء الطفل من كل الجوانب وبخاصة الجانب اللغوي.

لذا يجب أن نربي في الناشئة حب اللغة العربية،لأنها ليست مجرد أداة للتواصل البشري ولكنها قبل كل شيء عنوان للهوية ، لذا فإن الاهتمام بميول الطفل والعمل على زيادة دافعيته خطوه مهمة على طريق الإصلاح اللغوي المنشود ، ويجب تنمية هذه الميول بكل الوسائل الممكنة سواء بالتقدير المادي أو المعنوي للطلاب أو باستحداث الوسائل التعليمية غير التقليدية واستخدام الطرائق التربوية المتنوعة التي تهتم بميول الطلاب وتراعي الفروق الفردية بينهم ، لنصل إلى الهدف المنشود.

إعادة صياغة القواعد النحوية :

إذا كنا نؤمن بأن المعلم - بمفهومه الواسع - هو اللبنة الأولى في العملية التعليمية ، وأن الطالب هو محور هذه العملية ، فلكي تكتمل أركان المنظومة فلا بد من الإهتمام بالمحتوى اللغوي(القواعد النحوية) الذي يقدم للطالب ، وأن يعرض بأفضل الوسائل وفي أبهى ثوب وأحسن صورة ،حتى يكون عنصرا جاذبا لمريديه، لذا فيجب أن تقدم

[1]- إبراهيم عوض، دفاع عن النحو والفصحى الدعوة إلى العامية تطل برأسها من جديد، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2003م،ص138-139.

[2]- عثمان أمين ،فلسفة اللغة العربية،ص 82-83.

القواعد النحوية في حلة جديدة تبرز رونقها، وتظهرمفاتنها؛ لتثير النفوس وتلفت الأنظار لبهائها وأهميتها ، فيقبل عليها المريدون والمحبون ولكن كيف يمكن أن يتحقق ذلك ؟!وإذا كنا قد أكدنا مرارا أن الطفل يكتسب لغته باستخلاص قواعد هذه اللغة وأحكامها عن النماذج المسموعة من حوله ومن بيئته الخاصة والعامة،وعدم استخدام اللغة الفصيحة في كثير من المواقف الحياتية ،هو السبب الفاعل في هذه القضية ، وهذا ما يؤكد عليه شارل بتون(CHARLES BOUTON) قائلا:

" إن تعلم اللغة يعتبر منفذا متدرجا لامتلاك القواعد التي تسمح بانتاج ملفوظات صحيحة،ولا يمكن تحقيق مثل هذا المنفذ إلا بالعمل الدؤوب من جانب الوسط المحيط، وبشكل رئيسي من جانب الوالدين باعتبارهما الساهرين على سلامة وصحة الطفل اللغويتين" ([1]) وعليه فإن الاعتماد على اللغة المنطوقة هو السبيل ، حتى تستقر قواعد اللغة كما يقول كمال بشر:

" والأداء النطقي الفعلي بالذات هو قطب الرحى الذي تدور حوله عملية اكتساب اللغة وخطواتها المتتابعة الحلقات حتى تستقر قواعد اللغة وضوابطها في الدماغ "([2])

ولكن إذا كانت اللغة المنطوقة الآن غير منضبطة ، ولا تفي بمتطلباتنا اللغوية، فمن أين نبدأ ؟!

لاشك في أن الاهتمام بالقواعد النحوية هو البداية ،وأنسب الطرق التي تساعدنا على تيسير النحو يجب أن تنطلق من أساس متين مشترك يحظى بإحترام وتقدير الجميع ، وأن يرتبط بالواقع اللغوي لأن اللغة إنما هي انعكاس لبيئتها؛ لذا فالباحث يري أن الحل الناجع يتمثل في الاعتماد على لغة القرآن الكريم باعتبارها أهم مصدر من مصادر التقعيد لعدة أسباب منها :

- ما يحظى به القرآن الكريم من الاحترام والتقديس الكامن بداخل كل مسلم سواء أصرح بذلك أم لا ،لأنه كلام الله عز وجل " وتلقى لغة التنزيل توقير الغني والفقير والمثقف والأمي على حد السواء، بوصفها الجوهرة اللغوية النفيسة في الميراث الثقافي الإسلامي،فهي في نظرالجميع الكمال في أوجه وذروته، والجمال الذي لا يضاهيه جمال ، بل ومثال أثير أعلى للبلاغة والفصاحة في تناسق وإحكام بالغين "([3]) وهذا يبين لنا بجلاء السبب الرئيس الذي جعل الكثيرون يقيسون المكانة الأدبية لأي كاتب أو شاعر بمقدار ما يقترب من مثالية الأسلوب القرآن أو البعد عنها([4])

- استقرار لغة القرآن الكريم، لذا فالقرآن من أصلح النصوص التي يعتمد عليها في تيسير القواعد إلى جانب عدد من النصوص الأخري التي نقلت إلينا " لدينا الفصحى ممثلة في كتاب الله العزيز وحديث رسوله – صلى الله عليه وسلم- وما لف لفهما من آثار أدبية وعلمية وثقافية،وهي لغة استطاعت بحكم طبيعتها وظروفها الخاصة أن تعبر من مزالق الزمان ،وأن تزيح من طريقها كل أو جل ما ما يقابلها من صعوبات أويعترضها من مشكلات حياتية، حتى استقرت (وسوف تستقر إلى يوم الدين) محافظة على بنيتها وأساسياتها المميزة لها "([5]) مصداقا لقوله تعالى:{أَنَّا نَحن نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر:9]ويجب أن ندرك أن هذا ليس تحيزا أجوفا للغة القرآن الكريم ،وإنما هو

[1]- شارل بتون ، اللسانيات التطبيقية ، ترجمة قاسم المقداد ومحمد رياض المصري، تنفيذ دار الوسيم للخدمات الطباعية ،دمشق ،ص14.

[2]- كمال بشر،اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم ،ص105.

[3]- محمد محمد داوود ،العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2001 م، ص265.

[4]- ينظر: عبد الصبور شاهين ،العربية لغة العلوم والتقنية ، دار الاعتصام ، القاهرة ،ص45.

[5]- كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم،ص32-33.

سبيل علمي لا جدال فيه ،لأن القرآن الكريم جاء بالصورة الصوتية المثلى للعربية كما نطقها العرب قبل الإسلام ونقلت إلينا بمستوى فائق من الدقة ،لم يحظ به أي نص لغوي آخر ،وهذا أمر لاينكره أحد وخاصة إذا ما قورن هذا بالتطور الصوتي في اللغات الأخرى . ([1])

- اصطفاء القرآن للهجة قريش من بين لهجات العرب المتعددة ،يقدم لنا مثالا أثيرا يجب أن يحتذي به ميسرو النحو في العصر الحديث ،أسوة بعلماء العربية الأوائل ،وقد عمل القرآن على وحدة العرب من خلال وحدة اللسان العربي " بسبب انعزال القبائل عن بعضها ،وضعف وسائل الاتصال بينها ،بالإضافة إلى العلل الخلقية المتصلة بالعملية اللغوية من سوءالسمع وسوء الأداء؛ كان للعرب لهجات كثيرة متباينة ... فجاء القرآن يصطفي من لغة العرب ولهجاتها أفضلها ليقدم للعرب لغة واحدة فصيحة ولهجة واحدة عذبة، ولا يستعصي على أحد فهمها"([2]) والانتصار للسان الموحد هو جوهرالقضية ومفتاحها السحري

والقرآن الكريم يمثل الضمانة الوحيدة لوحدة اللسان العربي وهذا يجعلنا نعتقد تمام الاعتقاد أن القرآن الكريم يجب أن يكون أول وأهم المصادر التي يستند عليها في تيسير النحو العربي.

ومع إيمان الباحث العميق بأن الاعتماد على القرآن الكريم بقراءاته من أهم وأقصر السبل لتحقيق الهدف المنشود- تيسير النحو- لما تشتمل عليه هذه القراءات القرآنية من ثروة لغوية ونحوية هائلة جديرة بالدرس،إلا أن الباحث يرى أنه من الخطأ الكبير أن تقتصر محاولة تيسير النحو العربي على الاعتماد على القراءات القرآنية وحدها لأسباب منها:

- رسوخ عدد غير قليل من القواعد وارتباطها بالشواهد الشعرية لأن النحاة القدامى ركنوا إلى الشعر كمصدر أول عند استنباط قواعد اللغة " ولو أراد دارس النحو أن يحتكم إلى أسلوب القرآن وقراءاته في كل ما يعرض له من قوانين النحو والصرف ما استطاع إلى ذلك سبيلا؛ذلك لأن الشعر قد استبد بجهد النحاة،فركنوا إليه وعولوا عليه"([3]) وليس من الفطنة زعزعة القواعد الراسخة في الأذهان بإعادة صياغتها والاستشهاد عليها بشواهد بديلة ،وإنما يجب الاستناد إليها والبناء عليها .

- خلو القرآن الكريم من بعض الأساليب الفصيحة المتداولة ، وذلك لأن القرآن كتاب ديني،وليس كتاب لغوي في الأساس، فمن المنطقي أن يخلو من بعض الأساليب التي يستخدمها العرب، وقد صرح الشيخ عضيمه أن القرآن الكريم خلا من بعض الأساليب وأشار إلى جانب منها ([4]) ولا ينبغي أن يُعتقَد أن هذا قدحا في القرآن الكريم، فاللغة الفصيحة لم تقتصر على ما جاء في القرآن الكريم.

والباحث يرى أن هناك ضرورة للمزج بين النحو المعتمد على القرآن الكريم والنحو المعتمد على كلام العرب شعرا ونثرا على أن يكون للحديث النبوي نصيب من الاستشهاد، كما فعل النحاة المتأخرين كالسهيلي وابن مالك خالفوا النحاة الأوائل ، لأنه كلام عربي فصيح نقل عن أفصح العرب (محمد عليه الصلاة والسلام) حتى وإن نقل بالمعنى

[1]- ينظر : محمد محمد داوود ،العربية وعلم اللغة الحديث،ص45.
[2]- المرجع السابق،ص34.
[3]- محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ،تصدير محمود محمد شاكر،دار الحديث، القاهرة،1392هـ - 1972م ،2/1.
[4]- ينظر : المرجع السابق،13/1،وما بعدها.

فقط([1]) كما يرى ضرورة الاستفادة من الطرق التربوية في التقعيد والتكنولوجيا،على أن يكون ذلك تحت مظلة القرآن الكريم ،لأن الأمة كلها تتلقاه بالقبول.

وبالرغم من إيماننا الشديد بأثر القرآن في الحفاظ على اللغة؛لأنه كما يقول الشيخ محمد الخضر حسين: أفضل مايحتج به في تقرير أصول اللغة([2]) إلا أنني أعود لأؤكد أن القرآن الكريم قد خلا من بعض الأساليب وكل ما أرنو إليه أن يصير القرآن هو المصدر الأول للتقعيد ،وليس المصدر الأوحد، ،كما يقول الشيخ عضيمه " ما جاء في القرآن الكريم كان حجة قاطعة،وما لم يقع في القرآن نلتمسه في كلام العرب ،ونظير هذا، الأحكام الشرعية، إذا جاء الحكم في القرآن عمل به وإن لم يرد به نص في القرآن نلتمسه في السنة وفي غيرها " ([3])

ولا يفوتنا في هذا المقام أن ننبه من باب الأمانة العلمية أن هناك بعض الأصوات التي تنادي بالفصل بين قواعد اللغة والقرآن الكريم ، إلا أن الدافع من ورائها في حقيقة الأمر لا يعدو أن يكون واحدا من اثنين :إما الجهل (الغفلة والتسرع)من حيث هو الجهل،وإما خبث النية وسوء الطوية،ومن هذه الأصوات زكريا أوزون حيث يدعي أن القرآن الكريم لا يخضع لقواعد اللغة ، لأن قواعد اللغة هي من نتاج المخلوقين في حين أن القرآن الكريم هو من كلام الخالق سبحانه وتعالى.([4]) وهذا فكر خبيث يحمل في طياته هجوما على الإسلام والنحو معا يستتر بسياج المنطق ، ولكنه منطق خاطئ لا ينطلي على أبناء الأمة النجباء الذين لايخدعهم منطق الحاقدين والأغبياء.

ويرى الباحث أن المشكلة الرئيسة تكمن فينا نحن ،لأننا نتكاسل عن التفتيش في مصادرنا الأصيلة عن أسرار اللغة،وهذا ما يؤكده إبراهيم السامرائي مرجعا السر في ذلك ،إلى أننا لزمنا المصادر المتأخرة التي انشغلت بالخلافات وتعدد الآراء التي ربما نستظهرها ولكن نظل عاجزين عن كتابة شيء يسير خال من اللحن ([5])

كما يجب أن ندرك أن أزمة العربية ليست في النصوص المكتوبة ،إنما تكمن المشكلة الحقيقية في صورتها المنطوقة(لغة الحوار اليومية) وضعف الملكة من أدعى الأسباب التي تؤدي لانتشار اللحن وهو ما يؤكده كمال بشر:

" ولسنا نزعم أن أحدا منا يخبرها الآن نطقا في كل حين وآن والواقع يشهد أن لو حاول بعضنا أداءها نطقا - دون الاستعانه بمكتوب - لوقع في مزالق اللحن والخطأ إلى درجة تفسد محاولته وتسيء إلى اللغة نفسها " ([6])

ولهذا فنحن في حاجة ماسة ليس فقط إلى إعادة صياغة قواعد النحو العربي بل إلى تنمية الملكة اللغوية لأفراد المجتمع ككل ،وإلا سنظل ندور في حلقة مفرغة دون أن نصل إلى شيء، وينبغي أن ندرك أهمية التطبيق وأثره الفاعل في تعلم اللغة والتطبع بقواعدها وثقل الملكات الفطرية ، لذا فنحن نؤكد أن الممارسة والتطبيق لهما أثر كبيرفي ثقل الملكة الفطرية " لأن من أعون الأسباب على تعلم اللغة فرط الحاجة إلى ذلك،وعلى قدر الضرورة إليها في

[1]- ينظر: محمد حسن عبد العزيز، القياس في اللغة العربية ، ص12.
[2]- ينظر: محمد الخضر حسين،دراسات في العربية وتاريخها،ص30-31.
[3]- محمد عبد الخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ،13/1.
[4]- ينظر : زكريا أوزون ،جناية سيبويه الرفض التام لما في النحو من أوهام ، رياض الريس للكتب والنشر،ط1، 2002م ،ص22.
[5]- ينظر : ابراهيم السامرائي، العربية تواجه العصر، منشورات دار الجاحظ للنشر ،بغداد،1982م ، ص20-21 .
[6]- كمال بشر،اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم ،ص33.

المعاملة يكون البلوغ فيها والتقصير عنها "([1]) وفي هذا إشارة واضحة من الجاحظ (ت255هـ) إلى أهمية التطبيق وهو ما يؤكده إبراهيم عوض بقوله :

" كذلك ينبغي أن تكون التطبيقات في البداية من الكتابات العصرية والمقالات التي يؤلفها الصحفيون المشهرون بجمال أسلوبهم وحيوية ما يكتبون ،فإن ذلك أقْمَتُ أن يزيل من نفوس الطلبة الرهبة والوحشة ويشعرهم بأنهم يتنفسون هواء طبيعيا فلا يرتبط النحو والصرف في أذهانهم بالتكلف والتقعر ... ولا بد في أثناء ذلك كله من تفهيم الطالب أن الإعراب هو السبيل إلى التعبيسر السليم الحساس عما يدور بنفس الكاتب ، فضلا عن أنه يتيح له حرية لا نظير لها في أية لغة أخرى لتنويع طرائق التعبير واصطياد أدق الأفكار والأحاسيس بأوجز طريق ،وأنه أيضا السبيل إلى فهم ما يريد ذلك الكاتب ، فلم يؤت به للزينة الفارغة ولا للتحكم المرهق .... ومن المستحسن هنا الاستعانة بالتسجيلات والشرائط التي يستمع إليها الطالب ويحتذي ما تقدمه له من نماذج احتذاء يقوم على كثرة التكرار حتى تنطبع الصيغ والتراكيب السليمة في ذهنه وينطق بها لسانه دون تفكير كأنها سليقة فيه "([2])

والباحث هنا يؤكد ما سبق وأشار إليه من أن القاعدة لا تيسير- إلا في أضيق الحدود - وكل ما ندعو إليه هو تطوير منهج التقعيد وهو ما يجب أن يكون واضحا تمام الوضوح في أذهان كل من يتصدى لقضية التيسير حتى لا يحدث لبس " والتفريق بين القاعدة والتقعيد أمر أساس في دراسة التفكير العلمي في النحو العربي ... فمن الوهم العلمي أن يظن بعض المطلعين على النحو العربي أن التقعيد جزء من القاعدة ، وأن تيسير النحو يعني تيسير قواعده؛ فالقاعدة لاتيسر، وإنما يمكن تيسير منهج تقعيدها " ([3]) لذا فإن التفريق بين القاعدة والتقعيد والاهتمام بلغة الحوار اليومي المعتاد من أهم الوسائل التي تعين على تعلم العربية وإجادة فنونها،فتدريس القواعد النحوية بمعزل عن المجتمع لن يحل المشكلة ،ولن يجدي نفعا.

الخاتمة:

لقد كان النحو العربي ولايزال هو ميزان العربية،والضمانة التي تحفظ اللغة من اللحن والتحريف وهو ما أدركه السلف والخلف،وقد بذل كل منهم جهده من أجل تيسيره وتقريبه من أذهان المتعلمين ، ومع هذا فلا تزال الأصوات تتعالى منددة بصعوبة النحو العربي ،والدعوات تتوالى لتيسيره،إلا أنها دعوات فردية في أغلبها تفتقد إلى النظرة الشمولية والحل من وجهة نظري يكمن في توحيد الجهود وتضافرها،وتجيش كل المؤسسات من أجل هذه الغاية ولاسيما المؤسسة الإعلامية لما لها من أثر فعال في تنمية الملكة اللغوية ، حتى تتكامل الفطرة اللغوية مع الصناعة النحوية من أجل تحقيق الهدف المنشود . ونحن نعتقد تمام الاعتقاد أن أزمتنا اللغوية تكمن في صورتها المنطوقة ، وإلى الفجوة التي اصطنعها المغرضون بين اللغة العربية المكتوبة واللغة العربية المنطوقة ، وهذا ما يجعلنا نطالب بالاهتمام بالواقع اللغوي حتى تعود لغة المجتمع إلى سابق عهدها ، لتتقارب مع أمها الفصحى كما كانت قبل أن تستهدفها أيادي المستعمرين والمغرضين ،وتتعاقب عليها صروف الدهر؛ من أجل القضاء على الازدواجية ،والوصول إلى الوحدة اللغوية.

[1]- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ،مصطفى البابي الحلبي،ط2 ، 1384 هـ - 1965م ،290/5.
[2]- ابراهيم عوض، دفاع عن النحو والفصحى ،ص136-137.
[3]- حسن خميس الملخ ،التفكير العلمي في النحو العربي الاستقراء- التحليل- التفسير، ص14.

وفي الختام ،أؤكد أن الأمر في الإمكان بشرط توافر الرغبة الصادقة والإرادة السياسية الواعية وأرجو أن يعتز أبناء الأمة العربية بلغتهم فهي سر عزتهم،ووحدتهم،وأن يحرصوا عليها كل الحرص ،لتستقيم ألسنتهم،وليتمكنوا من لغتهم تمكن أجدادهم ،الذين خبروا اللغة،وأدركوا سر عظمتها وخلودها.

النتائج:

- كان منهج التيسير عند القدماء يتجه نحو معالجة القضايا مع الحفاظ على الأصول العامة ،لتحقيق الوحدة اللغوية ،في حين اتبع المحدثون مناهج متعددة تبنت - في أغلبها- سياسة الفصل التاريخي بين حاضر الأمة وماضيها ،وهو ما يوقع في اللبس والتشويش فيضر من حيث أراد النفع .

- بالرغم من كون النحو معياريا في الأساس إلا أن قواعده ليست قوالب جامدة، والفضل في هذا يرجع إلى العلماء الأفذاذ الذين صاغوا قواعده بمنهجية علمية ،حيث صاغوا قواعده وأثبتوا ما شذ عنها ،وأشاروا إلى ما خالفهم و نسبوه إلى أصحابه.

- تيسير النحو بات أمرا حتميا، ويجب أن يدرك القائمون على قضية التيسير أن هناك فرقا بين القاعدة والتقعيد،فالقاعدة لا تيسر،أما نظم التقعيد فلنا مطلق الحرية في تطويرها،أو تغييرها.

- ليس هناك عداء بين العامية والفصحى ،فلكل منها ميدانه الذي يجب ألا تبارحه ،ويجب أن ندرك أنه كلما ارتفعنا بالعامية لتقترب من أمها الفصحى كانت المهمة أسهل ، فالتيسير لا يجب أن يتم بمعزل عن المجتمع ،وهو ما يجب أن يدركه الباحثون في ميدان التيسير ،كما أن الارتقاء بالمعلم والاهتمام بميول المتعلم وزيادة دافعيته من الأسس الهامة التي يجب مراعاتها عند القيام بالتيسير.

- يجب أن ينطلق التيسير من أساس مشترك يحظى بالقبول والتقديس ،وليس هناك أفضل من الاعتماد على القرآن الكريم(النحو المرتكز على القرآن الكريم) إلى جانب النصوص الفصيحة المنتقاة من الواقع أو التراث .

المقترحات :

وبعد أن عرضنا لقضية من أهم القضايا التي برزت في الدراسات اللغوية في العصر الحديث وهي قضية تيسير النحو العربي التي نالت اهتماما واسعا من القدماء والمحدثين على السواء ، تبين لنا أن المشكلة لم تحل،وبقيت على حالها، فلاتزال الشكوى من صعوبة النحو العربي وقواعده قائمة حتى الآن ، وهو ما انعكس بدوره على اللغة العربية، فتعددت الدعوات التي تطالب بتيسير النحو العربي ،أو تخفيفه واختصاره،بل إن البعض قد تجاوز ذلك ودعا إلى إلغاء النحو العربي والتحرر من قواعده ،وبالتالى هجر الفصحى والتوجه إلى العامية أو غيرها من الرطانات ، متوهمين أن المشكلة قد تحل بمثل هذا ،لذا يجب أن نتنبه لمثل هذه الدعوات الهدامة ، وأن تتوحد صفوف الأمة من أجل الحفاظ على لغتها سليمة ،لأن اللغة هي عنوان الهوية ،مع الأخذ في الاعتبار أن النحو هو حصن العربية الأول، لذا اقترح :

- تكسير الجدران العازلة بين المؤسسات التربوية والمؤسسات الأكاديمية التي تعنى بتخريج معلم اللغة العربية ،والعمل على دمجها لتصير مؤسسة واحدة، والعمل على تزويدها بأفضل الإمكانات،التي تضمن لنا تخريج جيل قادر على تعليم العربية وقواعدها بأفضل الأساليب، دون قصور أو تقصير.

- أن تدعو جامعة الدول العربية والإسلامية إلى تشكيل لجنة علمية (متفرغة)على أعلى مستوى تضم أبرز اللغويين في العصر الحديث – من جميع الأقطار العربية - والمشهود لهم بالإخلاص للغتهم ، وتسند إليهم مهمة البحث والتنقيب والتوصل إلى أفضل السبل التي تسهم في حل أزمتنا اللغوية المعاصرة ،على أن تكون قراراتها ملزمة للدول والحكومات،ولا أرى حرجا في فرض النتائج التي تتوصل إليها هذه اللجنة فرضا، للخروج من هذه الأزمة، وليس في هذا اعتداء على الحريات حتى لا يزايد البعض فاللغة هي عنوان الهوية، ولتكن هذه اللجنة بمثابة ذلك الطبيب الذي يسعى للوقوف على الداء ،ليصف لنا الدواء الشافي .

- تشجيع وسائل الإعلام المختلفة على إنتاج برامج وأعمال أدبية مسموعة أو مقروؤه أو متلفزة ،تراعي اللغة الفصحى المنضبطة،ورصد مكافأت مجزية لمن يلتزم بها ، والعمل على تخصيص بعض القنوات التي تبث كل موادها باللغة الفصحى،تمهيدا لفرض قيود صارمة على وسائل الإعلام التي تبث أو تنشر باللغة العامية دون مراعاة للغة الفصحى وقواعدها، حتى نرتقي بلغة المتلقي ، نظرا للتأثير الكبير الذي تتركه وسائل الإعلام في نفوس الناس وتشكيل وعيهم ، ولاسيما أن الجزء الأكبرمن أزمتنا اللغوية يكمن في لغتنا المنطوقة ، التي توشك أن تنعكس على لغتنا المكتوبة .

- العمل على تعريب العلوم المختلفة، لصرف همة الباحثين في شتى المجالات إلى تعلم لغتهم ،على أن تخضع عملية التعريب للإشراف التام من قبل اللغويين،حتى نضمن سلامتها اللغوية وكذلك أمانتها في نقل المعنى المراد ، وهذا العمل لا يخدم اللغة فقط بل يعمل على زيادة روح الابتكار والاختراع في شتى المجالات،الأمر الذي يحولنا من مستهلكين للمعرفة إلى منتجين لها .

ولغتنا العربية مؤهلة لذلك لذا يجب المحافظة عليها،فللعربية مؤهلات ضخمة تجعلها أول لغة عالمية .

وإن كنت أعلم أن هذا قد يستغرق زمنا ليس بالقصير، ولكن ليس أمامنا من خيار آخر للدفاع عن هويتنا ، كما أن لغتنا تستحق منا كل العناية والاهتمام، ولاسيما أن هناك ميلا كبيرا وعاما نحو لغتنا الفصحى ويتمثل هذا في تلذذنا بسماع الفصيح بالرغم من أننا قد نتظاهر بعكس ذلك ، فاللغة العربية لغة عالمية تمتلك قدرة كبيرة على التعبير عن المشاعر والأحاسيس،وهو شعور عام لدى أبناء الأمة حتى وإن لم يحسنوا استخدامها في الحياة ، وهذا يؤكد لنا أنه لا زال للعربية مكانة كبيرة في نفوس أبنائها حتى وإن أجادوا غيرها .

ولازال الأمر في الإمكان ، والدليل على هذا أن الأميين في الأقطار العربية لديهم قدرة طبيعية على فهم المتون الفصيحة الواقعة في نطاق اهتماماتهم اليومية .

وأؤكد أنه لا يمكن الإستغناء عن قواعد النحو بحال من الأحوال حتى وإن تحسنت الملكة اللغوية لأبناء الأمة كلها لأن النحو هو حارس اللغة وحاميها.

فقواعد النحو لايمكن التقليل من قيمتها أوالاستغناء عنها،وكل ما علينا أن نبذل قصارى جهدنا من أن أجل تيسير قواعد النحو العربي وتقريبها من نفوس الطلاب .

ويجب أن ندرك أنه لا تخلو العلوم من صعوبة ، كما يجب أن ندرك أن اللغة لاتسلم قيادها لغبي، وهي بذلك تحتاج إلى جهد موصول،وإلى يقظة ووعي كبيرين .

وأرجو أن يعتز أبناء الأمة العربية بلغتهم فهي سر عزتهم ووحدتهم،وأن يحرصوا على تعلمها كل الحرص،لتستقيم ألسنتهم،وليتمكنوا من لغتهم تمكن أجدادهم الذين خبروا اللغة وأدركوا سر عظمتها وخلودها،وعكفوا على خدمتها طيلة عمرهم، وأرجو أن أكون قد وفقت في تكوين رؤية تساعدني أولا والقائمين على تعليم لغتنا الخالدة ثانيا على إقالة عثرتها والعودة بها إلى نبعها الصافي وثوبها القشيب وذوقها الرائع خدمة للغة القرآن الكريم ،وأرجو من الله القدير أن ينفع بهذا العمل، وألا يحرمنا الأجر والثواب.

والله من وراء القصد ...

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

1- ابراهيم السامرائي، العربية تواجه العصر، منشورات دار الجاحظ للنشر ،بغداد، 1982م .
2- إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة، ،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،ط6، 1978م
3- إبراهيم عوض، دفاع عن النحو والفصحى الدعوة إلى العامية تطل برأسها من جديد، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2003م.
4- أبوالبركات الأنباري(ت577ه)،لمع الأدلة في أصول النحو ، تحقيق،د.عطية عامر، المطبعة الكاثوليكية،بيروت،1963م .
5- تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1973م
6- حسن خميس الملخ:
- التفكير العلمي في النحو العربي الاستقراء- التحليل- التفسير ، دارالشروق، عمان، 2002م.
- نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق، عمان، 2000م.
7- زكريا إبراهيم ، طرق تدريس اللغة العربية ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، 1999م .
8- زكريا أوزون ،جناية سيبويه الرفض التام لما في النحو من أوهام ، رياض الريس للكتب والنشر،ط1، 2002م .
9- سعيد جاسم الزبيدي،القياس في النحو العربي نشأته وتطوره، دار الشروق،الأردن، ط1، 1997م
10- ابن سلام الجمحي (231ه)،طبقات فحول الشعراء، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، 1422ه - 2001م .
11- سلامة موسى : - البلاغة العصرية واللغة العربية ، سلامة موسى للنشر والتوزيع ،ط1، 1945م - الأدب للشعب ،مؤسسة هنداوي، القاهرة.

12- شارل بتون ، اللسانيات التطبيقية ، ترجمة قاسم المقداد ومحمد رياض المصري، تنفيذ دار الوسيم للخدمات الطباعية ،دمشق

13- شوكت علي عبد الرحمن درويش،الرخصة النحوية، طبعة وزارة الثقافة عمان،1425 هـ-2004 م

14- عباس حسن،النحو الوافي، دار المعارف،القاهرة،ط16، 2007م.

15- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي(ت808هـ)، المقدمة، مطبعة محمد عبد الرحمن محمد لنشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية، بيروت، لبنان.

16- عبد الصبور شاهين ،العربية لغة العلوم والتقنية ، دار الاعتصام ، القاهرة .

17- عبد العليم إبراهيم ،النحو الوظيفي، دار المعارف،القاهرة ،ط9، 1389هـ - 1969م.

18- عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت 471 هـ) ،دلائل الإعجاز ، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة،1404هـ - 1984م .

19- عبدالله بن صالح الفوزان، دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، دار المسلم للنشر والتوزيع، بريدة،1416هـ .

20- عبده الراجحي،التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،ط2، 1420هـ - 2000م .

21- عثمان أمين،فلسفة اللغة العربية ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ،1965م.

22- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت255هـ) ،الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ،مصطفى البابي الحلبي،ط2 ، 1384 هـ - 1965م .

23- علي أبو المكارم،الظواهر اللغوية في التراث النحوي، دار غريب للطباعة والنشر،القاهرة،2006م .

24- علي الجارم ومصطفى أمين،النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، دار المعارف، القاهرة.

25- غانم قدوري الحمد، أبحاث في العربية الفصحى، دار عمان للنشر والتوزيع، الأردن،2005م.

26- فؤاد بو علي،الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي، عالم الكتب الحديثة ، الأردن،ط1، 2011م .

27- فرديناند دي سوسور ،علم اللغة العام ، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، راجعه د. مالك يوسف المطلبي ، دار آفاق عربية للصحافة والنشر، العراق – بغداد، 1985م.

28- كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،1999م .

29- محمد الخضر حسين ، دراسات في العربية وتاريخها، المكتب الإسلامي ،دمشق .

30- محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت 711هـ) ، لسان العرب ،دار صادر ،بيروت،ط1.

31- محمد حسن عبد العزيز،القياس في اللغة العربية، دار الفكر العربي،ط1، 1995م .

32- محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ،تصدير محمود محمد شاكر،دار الحديث، القاهرة،1392هـ - 1972م .

33- محمد محمد حسين ،أزمة العصر، دار عكاظ ،جدة، 1978م .

34- محمد محمد داوود ،العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،2001 م .

35- ابن مضاء القرطبي(592هـ)، كتاب الرد على النحاة، ، تحقيق د/ شوقي ضيف،دار المعارف، القاهرة،ط3، 1982م .

36- ممدوح عبد الرحمن،المنظومة النحوية دراسة تحليلية ، دار المعرفة الجامعية، 2000م .

37- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا بيروت،ط1، 1964م .

38- نفوسة زكريا سعد ، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار نشر الثقافة ،الإسكندرية ،1964م.